معالم في طلب العلم

إعداد

د. عبد العزيز بن ريس الريس
المشرف العام على شبكة الإسلام العتيق

١٤٤٤هـ

فهرس

تمهيد – بعض الأدلة في فضل العلم ١

العلم الممدوح في الكتاب والسنة هو العلم الشرعي ٤

العلم هو الخشية ٥

(١) العلم عبادة ٨

(٢) ترك الذنوب والمعاصي ١٠

(٣) الدعاء ١٣

(٤) الجد في تحصيل العلم ١٣

(٥) مجالسة الجادّين ١٦

(٦) اختيار المعلم ١٧

(٧) ضبط الوقت ١٩

(٨) مرجع العلم الشرعي ٢٠

(٩) الحفظ ٢٢

(١٠) تحقيق مسائل العلم ٢٤

(١١) التدرج في العلم ٢٤

(١٢) ضبط العلم بالمراجعة ٢٥

(١٣) الاجتهاد وترك التقليد ٢٧

(١٤) دراسة علم الحديث ٢٩

(الإجابة على الأسئلة) ٣٠

- س١: بعضهم يطلب العلم سنوات لكنه تحصيله ضعيف ٣٠
- س٢: هل يُشترط في تعليم الآخرين أن أكون متقدمًا في العلم الشرعي؟..... ٣١
- س٣: ما الأسباب التي تُعين على الإخلاص؟ ٣١
- س٤: هل يشترط الاستمرار على طلب العلم للفوز بفضائله؟ ٣٢
- س٥: كيف نتعامل مع من عنده شدة مع إخوانه من طلبة العلم؟ ٣٢
- س٦: كيف نعرف أن المصيبة ابتلاء أو عقوبة؟ ٣٣
- س٧: كيف إذا حضرت عدة شروح لمتن معين، كيف أراجعها؟..... ٣٤
- س٨: بماذا يهتم طالب العلم المبتدئ وقت الفتن؟ ٣٤
- س٩: ما أهمية علم التجويد وعلم النحو؟ ٣٤

بسم الله الرحمن الرحيم

(معالم في طلب العلم) [1]

إنَّ طلب العلم مِن أجَلِّ القُرَب، وأرغبِها وأحبِّها إلى الله سبحانه، بل إن أفضل العبادات التطوّعية طلب العلم، وقد ذهب إلى هذا أبو حنيفة ومالك والشافعي في قول وأحمد في رواية، ودلَّ على فضل العلم أدلةٌ كثيرةٌ للغاية، وأطالَ ابن القيم الكلام في ذلك في كتابه (مفتاح دار السعادة) وذكر أكثر من خمسين ومائة دليلًا على فضل العلم، ومنها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: ١٨] وممن ذكر هذه الآية في فضل العلم ابن جماعة في كتابه (آداب السامع والمتكلم).

ووجه الدلالة في هذه الآية من أوجه:

- **الوجه الأول**: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ استشهدهم دون غيرهم من البشر.
- **الوجه الثاني**: أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قرَنَ شهادتهم بشهادتهِ.
- **الوجه الثالث**: أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قرنَ شهادتهم بشهادة الملائكة.

---

(١) أصل هذه المادة درس بعنوان (معالم في طلب العلم) ألقيت عام ١٤٤١هـ وتمت مراجعته مع بعض الزيادات والتعديلات.

- **الوجه الرابع**: أنَّ هذه الشهادة مُتضمِّنة لتزكيتهم.
- **الوجه الخامس**: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى استشهدهم على خير مشهود.

يا طالب العلم، يا مَن حُبِّبَ إليك العلم، جِدَّ واجتهد فيه حتى تكون من أولئك الذين أشهدهم الله، -جعلنا الله منهم-.

الدليل الثاني: قال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فنفى التسوية بينهم وبين غيرهم كما نفاها بين أصحاب النار وأصحاب الجنة: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠] وقد ذكر هذا ابن القيم في كتابه (مفتاح دار السعادة) وابن رجب في (شرح حديث أبي الدرداء) وابن جماعة في كتابه (آداب السامع والمتكلم).

الدليل الثالث: قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] وهذه فضيلة عظيمة لأهل العلم، فإنه جعلَ ما عداهم أعمى.

الدليل الرابع: قال تعالى: ﴿يَرْفَعْ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وقد ذكر هذه الآية من فضائل العلم ابن القيم وابن رجب، فأهل الجنة يرفعون أبصارهم فيرونَ أناسًا كالنجوم في السماء، فإذا بهم أهل العلم.

الدليل الخامس: روى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**» (١).

الدليل السادس: روى البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» (٢).

الدليل السابع: روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» (٣)، فدلَّ على فضل العلم وأنه بذهاب العلماء حصلت هذه الخسارة الكبيرة.

ومن كلام السلف في فضل العلم ما روى ابن عبد البر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: " **مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ أَوْ يَشْفَعُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ** " (٤)، يا عظيم خسارة مَن حُرم هذا الفضل العظيم وهو قادرٌ على تحصيله.

---

(١) صحيح مسلم (٤ / ٢٠٧٤) رقم: (٢٦٩٩).

(٢) البخاري (٧١) مسلم (٢ / ٧١٩) رقم: (١٠٣٧).

(٣) البخاري (١٠٠) مسلم (٤ / ٢٠٥٨) رقم: (٢٦٧٣).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٧١) رقم: (١٨٠).

وما ثبت عند الترمذي عن صفوان بن عسَّال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: " **إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ** " [1]،

ومن ذلك قول ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: " **وصح عن أبي موسى الأشعري أنّه قال: «لَمَجْلِسٌ أَجْلِسُهُ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَوْثَقُ فِي نَفْسِي مِنْ عَمَلِ سَنَةٍ»** " [2].

وما روى أبو عثمان الصابوني عن الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: "**تعليم سُنَّة أفضل من عبادة مائتي سنة**" [3].

والآثار في فضل طلب العلم كثيرة، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -كما في رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- أنَّ النفس لا تصبر على المرارة إلا بشيء من الحلاوة، فمن تأمَّل هذه الفضائل جاهد نفسه الأمَّارة بالسوء وصبر على مرارة تحصيل العلم، ليفوز بهذه الفضائل العظيمة.

تنبيهان:

التنبيه الأول: إذا ذُكر العلم في القرآن والسنة على وجه المدح فإنما يُراد به العلم الشرعي، ذكر هذا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (مفتاح دار السعادة)؛ وذلك أنَّ الله

---

(١) سنن الترمذي (٣٥٣٥).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (١ / ٣٦).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ٣١٨) ط. دار العاصمة.

تعالى أرسل نبيه ﷺ بالوحي، وهو العلم، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] يراد به العلم الشرعي.

ويُخطئ بعضهم ويطّرد هذا في علم الطب والهندسة وغير ذلك، ولا شكَّ أنَّ هذه العلوم وأمثالها مفيدة، لكن لا يصح جعلها المُرادة بهذه الآيات، بل ذكر ابن القيم في كتابه (مفتاح دار السعادة) أنه لا يُقال عن هذه العلوم فرضُ كفاية فضلًا أن تكون مُرادةً بهذه الآيات.

التنبيه الثاني: كثُرَ في كلام السلف أنَّ العلم الخشية، فقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: " **لَيْسَ الْعِلْمُ مِنْ كَثْرَةِ الْحَدِيثِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ مِنَ الْخَشْيَةِ** " [(١)]، وروى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: " **كَفَى بِخَشْيَةِ اللهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِالِاغْتِرَارِ بِهِ جَهْلًا** " [(٢)]، وروى أيضًا أنَّ رجلًا قال للشعبي: أفتِنا أيها العالم، فقال: " **الْعَالِمُ مَنْ يَخَافُ اللهَ** " [(٣)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠ / ٣١٨٠) رقم: (١٧٩٧٦).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ١٠٤) رقم: (٣٤٥٣٢).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ٢٣٩) رقم: (٣٥٦٦٨).

وذكر ابن كثير في تفسيره عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: " **الْعَالِمُ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ، وَرَغِبَ فِيمَا رَغِبَ اللهُ فِيهِ، وَزَهِدَ فِيمَا سَخِطَ اللهُ فِيهِ، ثُمَّ تَلَا الْحَسَنُ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}** " [1].

وروى ابن جرير في تفسيره عن أبي العالية أنه كان يُحدِّث أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: " **كل ذنب أصابه عبدٌ فهو بجهالة** " [2].

وكلام السلف كثير في أنَّ العلم هو الخشية، وأصلُ ذلك مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿**جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ [البينة: ٨].

وقد أخطأ بعض الناس في هذا من جهتين:

الجهة الأولى: ظنَّ بعضهم من هذه الآثار أنَّ مَن بلغَ الخشية فقد بلَغَ العلم، وفي هذا إجمال؛ وذلك أن العلم إما علم بالله وأسمائه وصفاته أو علم بأمره ونهيه فمن خشي الله وعمل بطاعته وترك معصيته فهو عالم بالله كما قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ**

---

(١) تفسير ابن كثير (٦ / ٥٤٥).

(٢) تفسير الطبري (٨ / ٨٩).

﴿وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] وهو المراد بآثار السلف المتقدمة.

روى ابن عبد البر [١] عن أبي حيان التيمي أنه قال: **"العلماء ثلاثة، عالم بالله وبأمر الله، وعالم بالله وليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله وليس بعالم بالله، فأما العالم بالله وبأمر الله فذلك الخائف لله العالم بسنته وحدوده وفرائضه، وأما العالم بالله وليس بعالم بأمر الله فذلك الخائف لله وليس بعالم بسنته ولا حدوده ولا فرائضه، وأما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله فذلك العالم بسنته وحدوده وفرائضه وليس بخائف له "**.

ويلزم من العلم بالله العلمُ بأمر الله ونهيه، هذا ملخص ما قرره ابن تيمية وابن القيم [٢]، فمن ترك العلم بأمر الله ونهيه فليس عالما من هذه الجهة، والجمع بين العلمين هو حال مالك والثوري والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وغيرهم، والاقتصار على العلم بالله هو حال معروف الكرخي، وهو مرتبة أقل.

الجهة الثانية: ظنَّ بعضهم أنَّ مقتضى هذه الآثار أنَّ السلف أصحاب إجمالٍ في العلم وليسوا أصحاب تفصيل لأنَّ المراد من العلم الخشية فحسب، وقد تقدم معنى قول السلف إن العلم الخشية ثم لازم هذا أنه جعل السلفَ أُمّيين، وهذا

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢ / ٨٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٢٣ ، ٢٤) و (١٤ / ٢٩٣)، وشفاء العليل (٢ / ٦٠).

خطأ، وقد ذمَّ اللهُ أهل الكتاب بأنهم أمُّيون: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، ولتعرف أنموذجًا من تدقيق السلف طالع كتاب الأم للشافعي.

وبعد هذا، فإن للعلم معالمَ كثيرةً، ويصعُب ذِكر أكثر هذه المعالم فضلًا عن ذكر كلِّها، لذا سأختار -بحول الله وقوته- بعض ما أستحضر أنه الأهم من هذه المعالم.

المعلم الأول: العلم عبادة.

العلم وسيلة للعبادة، وكل علم لا يفيد اعتقادًا وعملًا شرعيًا فليس مستحسنًا، ولو كان مستحسنًا لبحث عنه الأولون من الصحابة والتابعين كما قاله الشاطبي في الموافقات[1]، وليستحضِر كلُّ مَن درس العلم الشرعي أنَّ هذا العلم عبادة عظيمة، وإن العلم الشرعي من حيث الجملة نوعان: علمٌ واجب، وعلمٌ مستحب.

وأما الواجب فمنه ما هو واجبٌ على كل أحد، ومنه ما هو واجبٌ على الكفاية، ومنه ما يحتاج إليه بعض الناس دون بعض، كصاحب المال يتعلم أحكام الزكاة حتى يُزكِّي، وكالذي يبيع ويشتري يتعلم أحكام البيع حتى لا يقع في المحرمات، وما عدا ذلك فهو من العلم المستحب.

---

(١) الموافقات (٢ / ١٠٤).

وقد أشار إلى هذا ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والإمام أحمد، ونقل شيئًا من ذلك ابن رجب في شرح حديث أبي الدرداء، وذكر نحوًا منه الحليمي، كما نقله عنه البيهقي في (شعب الإيمان) وأقره.

ولَمَّا كان العلم عبادةً كان لابد فيه من الإخلاص لله تعالى، فكل عبادة لم يُخلص فيها صاحبها لم تُقبل منه، كما قال سبحانه: ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠] وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] وقال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وأخرج الإمام مسلم [١] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

ومن المعلوم أنَّ العبادات المُتعدِّية يصعُب فيها الإخلاص ويَعرض لها الرِّياء أكثر من غيرها من العبادات القاصِرة، فيحتاج العبد إلى جهدٍ كبيرٍ حتى يكون مُخلِصًا، وقد أخرج مسلم [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ ذكر أن أوَّل مَن تُسعَّر بهم

---

(١) صحيح مسلم (٤ / ٢٢٨٩) رقم: (٢٩٨٥).

(٢) صحيح مسلم (٣ / ١٥١٣) رقم: (١٩٠٥).

النار ثلاثة: صاحب علمٍ، ومجاهد، وصاحب نفقةٍ، والجامع لهؤلاء الثلاثة أنَّ أعمالهم أعمالٌ مُتعدية، فيحتاج طالب العلم إلى مُجاهدة النفس كثيرًا حتى يكون مُخلصًا لله، وليعلم أنه لن يصل إلى درجةٍ يكون في مأمنٍ على إخلاصه، فإنَّ النية تتقلَّب وتتغيَّر فالمجاهدة على الإخلاص ليس لها منتهى وتستمر مع العبد مادام حيًّا.

روى الخطيب البغداديّ عن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: " **مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي، إِنَّهَا تَقَلَّبُ عَلَيَّ** " [1]، وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أسأل الله أن يُصلح نيَّاتنا وأعمالنا، إنه الرحمن الرحيم.

المعلم الثاني: ترك الذنوب والمعاصي.

إنَّ كُلَّ بلاءٍ وفسادٍ وعقوبةٍ وتأخُّرٍ بسبب الذنوب والمعاصي، فما نزلَ بلاءٌ إلا بذنب وما ارتفعَ إلا بتوبة، والآيات في ذلك كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا**﴾ [آل عمران: ١٥٥] وقال سبحانه: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الروم: ٤١] وقال سبحانه: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١ / ٣١٧) رقم: (٦٩٢).

قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

ومما يُعيق عن تحصيل العلم وضبطِهِ والاستمرار فيه الذنوب والمعاصي، وقد تقدم أنَّ العلم هو الخشية، فهذا يتنافى مع عدم المبالاة بالذنوب والمعاصي، وقد روى ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: " **إِنِّي لَأَحْسَبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا، وَأَنَّ الْعَالِمَ مَنْ يَخْشَى اللهَ ثُمَّ تَلَا {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** " [(١)].

ومما نُقل عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفْظِي . . . فأرشَدَني إلى تركِ المعاصي

وقالَ اعْلَم بأَنَّ العِلْمَ نورٌ . . . ونورُ اللهِ لا يُؤْتاهُ عاصي

فالعلم نور، وهذا النور يُستَجلَب بطاعة الله، وهو هداية، فينبغي أن نجتهد على ترك الذنوب والمعاصي، أخرج مسلم عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال فيما روى عن الله تبارك وتعالى: «... **يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**» [(٢)].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١ / ٦٨٩) رقم: (١٢١٢).

(٢) صحيح مسلم (٤ / ١٩٩٤) رقم: (٢٥٧٧).

ولا أحد يسلم من الذنوب، وليس الخطأ أن يقع طالب العلم في الذنب ثم يُقلع ويتوب، وإنما الخطأ ألا يُبالي وأن يستسهل الصغائر ويستمر عليها، ولا يُبالي في مقارفة الكبائر، والناس في ذلك متفاوتون، والواجب على المسلمين أجمعين - وطلاب العلم من باب أولى- أن يتقوا الله وأن يحذروا الذنوب والمعاصي وكل ما يُؤدي إليها.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة: ٢٠٨] فليحذر طالب العلم كل ما يُؤدِّي إلى معصية الله.

وكل واحدٍ مِنا أعرف بنفسه وبالطرق التي تُؤدِّي إلى المعصية، فمن الناس من تزلق به القدم مع هذه الجوالات، ومنهم من تزلق به القدم في الاختلاط بالنساء في عمله وغير ذلك وهكذا...، ومنهم من يتساهل في النظر للحرام بحُجج واهية ثم يُنكت في قلبه نكتة سوداء، وهكذا حتى يُنسى العلم -عافاني الله وإياكم-.

ومن زلَّ ووقع في المعصية فليفزع إلى التوبة ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١] ثم بعد ذلك يكثر الحسنات ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود: ١١٤] وبهذه الأمور الثلاثة وهي ترك الأسباب المؤدية إلى المعصية، ثم الفزع إلى التوبة عند الوقوع في المعصية، ثم الإكثار من الحسنات يكون العبد من الصالحين، فما أحوج المسلمين إليها لاسيما طلاب العلم.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعض السلف أنه قال: **إني والله لأجد أثرَ المعصية في زوجي وخادمي ودابتي**. فالذنوب شؤمها عظيم، كم من بابٍ من أبواب العلم قد فُتح ثم أُغلق بمعصية، فلنتُب إلى الله ونُقبل عليه، ولنُكثر من الطاعات، ولنكن توَّابين أوَّابين ولله راجعين، حتى نفوز بجنةٍ عرضها السماوات والأرض.

المعلم الثالث: الدعاء.

إنَّ الدعاء مفتاح كل خير، وبه تُستجلَب الخيرات وتُدفع المكروهات، فلنكن كثيري الدعاء، وندعو بجوامع الكَلِم، ونستغل أوقات الإجابة، والهيئات التي ثبت أنها أحرى لإجابة الدعاء، فإنَّ الله كريمٌ رحمنٌ رحيمٌ، أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا، وسبقت رحمته غضبه، ويفرح سبحانه بدعاء عبده، فلنُقبل على الله بكثرة الدعاء.

ومَن تأمَّل حال الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وجدهم كثيري الدعاء، فهو بابٌ عظيم وأقوى وأسهل سبب، ومع ذلك نحن مقصِّرون فيه للغاية، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

المعلم الرابع: الجد في تحصيل العلم.

حقيقة العلم جمعُ معلومات، والمعلومات إنما تُجمع بالجد والاجتهاد في جمعها، فإذا لم نَجِد في ذلك فلن ندرك العلم، وهذا من الأسباب الكونية، فكل ما نريد لا

يحصل إلا بالجد في تحصيله ومِن ذلك العلم، فهو يحتاج إلى جد واجتهاد حتى يُدرَك ويُحصَّل، ويحتاج إلى هِمَّة وقوة عزيمة.

وتذكُّر فضائل العلم من الأسباب الرئيسة في الجِد لتحصيله روى البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: **" وَاللهَّ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهَّ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهَّ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهَّ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ "** (١).

وهذا يدل على هِمة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمع هذا العلم الكثير الذي حصَّله كما ذكره عن نفسه، ومع هذا كله لو عَلِم أحدًا أعلم منه بكتاب الله ويستطيع الوصول إليه بركوب الإبل لركب إليه.

روى البيهقي عن المزني أنه قال: **"قيل لمحمد بن إدريس الشافعي: كيف شهوتك للأدب؟ قال: أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه فتودّ أعضائي أنّ لها أسْماعاً تتنعم به مثل ما تَنَّعَمت الأذنان. قيل: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجَمُوع المَنُوع على بلوغ لذته في المال. وقال: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المُضِلَّة وَلَدها وليس لها غيره"** (٢).

---

(١) صحيح البخاري (٥٠٠٢).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي (٢ / ١٤٣).

عجبًا ثم عجبًا لقوة همته إنه إذا سَمِعَ علمًا ما سمعهُ قبل يتلذَّذ به لذَّةً شديدةً حتى يتمنَّى أنَّ لكُلِّ عضو أذنًا تتلذَّذ به كما تتلذَّذ به أذناه، ويحرص على جمع العلم كحِرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال، وهو الرجل الذي يجمع المال ولا يُخرجه ولذَّته في الإكثار من المال، وطلبه له كأمٍّ ضيَّعت ولدها وليس لها إلا هذا الولد، إنَّ الأم لو كان لها عشرة أولاد وأضاعت أحدهم لبَلَغ بها الهلع والجِد في البحث عنه الشيء العظيم، فكيف وليس لها غير هذا الولد؟ فيقول الشافعي: طلبي للعلم كطلب هذه الأم المُضلِّة لولدها، الله أكبر!

بهذه الهمة وهذا الجِد أصبح الشافعي هو الإمام الشافعي المعروف، فالجد الجد في تحصيل العلم، إلى متى الضعف والخور؟ إلى متى التكاسل؟ إلى متى الانغراق في ملذات الدنيا؟ إلى متى التأخر في تحصيل العلم؟ إلى متى نبقى على هذه الهمة الهزيلة والرغبة الضعيفة؟ ثم نناشد العلم ونرجوه، لا يمكن أن نكون كذلك إلا بالجد والاجتهاد في تحصيل العلم.

فالمتعيِّن علينا أن نجتهد في طلب العلم غاية الاجتهاد، فإنَّ للعلم لذَّةً لا يجدها إلا مَن عرفَ حقيقة العلم وعرف فضله حقًّا وسعى في طلبه صدقًا، وبذل الغالي والنفيس لأجله تضحيةً.

ثم إنَّه تعرض للعبد في سيرِهِ لطلب العلم أمورٌ تعيق عليه طريقه فيحتاج إلى هِمة قوية حتى يقطع الطريق الطويل، روى ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله)

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لكعب: " **مَا يُذْهِبُ الْعِلْمَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ بَعْدَ أَنْ حَفِظُوهُ وَوَعَوْهُ؟ فَقَالَ: يُذْهِبُهُ الطَّمَعُ، وَتَطَلُّبُ الْحَاجَاتِ إِلَى النَّاسِ** "[1].

نحن ضعفاء في قلوبنا، وفي تشوُّف الدنيا، وتتبُّع لذَّاتها، والسعي إلى منافسة الناس في ذلك، فنحتاج -بعد توفيق الله-إلى هِمة حتى نتجاوز هذه العقبات.

فإذن نحتاج إلى هِمة قوية حتى نقطع هذا المهيع الطويل، وحتى ندفع العوائق التي تمنعنا من السير في تحصيل العلم، وفي مقابل الجد والاجتهاد ينبغي ألا نكون عَجِلين، فقد ذكر ابن حبان في روضة العقلاء أنَّ العرب كانت تقول: **العجَلَة أُمُّ الندامات**، وليس معنى عدم العجلة التكاسل، وإنما الجِد والاجتهاد مع عدم العَجَلة، فإذا جمعنا بين الأمرين حصَّلنا خيرًا كثيرًا -نسأل الله الكريم من فضله-.

المعلم الخامس: مجالسة الجادّين.

ينبغي أن يكون لطالب العلم صاحب يُعينه على تحصيل العلم وإدراكه ومعرفته، فإنَّ الإنسان ضعيفٌ بنفسه قويٌّ بإخوانه، والله يقول لنبيهِ محمدٍ ﷺ: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ [الكهف: ٢٨]

لكن لابد أن يكون هؤلاء الأصحاب صادقين في تديُّنهم، وجادّين غاية الجد في تحصيل العلم حتى يُشجع بعضهم بعضًا، أما مجالسة البطَّالين فهي مِن أشدِّ ما

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١ / ٦٩٣) رقم: (١٢٢٥).

يُضعف الهمة ويُردي بالنفس إلى المواقع السافلة ويُضعفها، فإنَّ النفس أمَّارةٌ بالسوء فكيف إذا وجدت أعوانًا يُعينونها على ذلك، فلنبحث عن الجادِّين حتى يُعينونا على تحصيل العلم وإدراكه.

المعلم السادس: اختيار المعلم.

إن تلقي العلم بطريقين: المشافهة والمطالعة، وللمشافهة فوائدها وهي أنفع من المطالعة وأسلم، وقد جعل الله فيها خاصية يشهدها كل من زاول العلم والعلماء، ويجعل الله فيها فتحًا. هذا ملخص ما ذكر الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

ينبغي لطالب العلم أن يختار مِن المعلمين أحسنهم علمًا وتعبُّدًا وخُلُقًا، حتى يسهل عليه العلم والعبادة والأخلاق، فتفتح له الأبواب التي المحصنة، والقواعد المفيدة، والتأصيلات النافعة.

إنَّ وجود المعلم المفيد نافعٌ للغاية، فلنبحث عن المعلمين الجادِّين والمتميزين حتى يُحققوا لنا العلم ويُساعدونا في تحقيقه، ولتعرف مزيَّة هذا الأمر انظر إلى أثر الإمام الشافعي على الإمام أحمد، فإنَّ له أثرًا كبيرًا على الإمام أحمد، ففتَّقَ ذِهنه وجعله يُحقق المسائل تحقيقًا، فأضاف للإمام أحمد علم الدراية، وقد ذكر الإمام أحمد فضل الإمام الشافعي عليه في فهم العلم.

---

(١) الموافقات (٢ / ١٨٦).

وإذا أردت أن تُدرك هذا في المعاصرين جرِّب ساعةً تسمعها للشيخ العلامة المحقق الفهامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وساعة تسمعها لغيره، ففي الغالب ستجد أنَّ الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين يُقرِّب لك العلم تسهيلًا وتحقيقًا وبيانًا وتوضيحًا -رحمه الله رحمة واسعة وجميع علماء المسلمين-.

ولتَزْدَد يقينًا في ذلك اقرأ مجلدًا لشيخ الإسلام ابن تيمية ومجلدًا لغيره، ستجد الفرق الكبير، لذلك إذا وُفِّق الرجل للعالم المُحقق فسيختصر له الطريق ويُبصِّره بالمهمات ويزيده فرقانًا ووضوحًا، فإنَّ حقيقة العلم هو التفريق بين الحق والباطل، كما بيَّنَ هذا ابن تيمية في أواخر (التدمرية).

تنبيه: إن مفاتيح العلم إنما تؤخذ مشافهة من أهل العلم، أما ما زاد على المفاتيح فيؤخذ بالمطالعة ومنه القراءة والبحث ذكر الشاطبي عن بعضهم: **"أن العلم كان في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، وصارت مفاتحه بأيدي الرجال"** [1]، ولا سيما في زمننا هذا لما قل المتفرغون للتعليم وصارت أوقات التدريس شحيحة فإن عامة تحصيل العلم من الكتب، وإنما يحرص الطالب على ملازمة من كان محققًا مدققًا مع جهده الذاتي في المطالعة والمباحثة، وخير ما يشتغل بمطالعته كتب الأولين من الصحابة والتابعين كما قاله الشاطبي[2]، ومن سار على طريقتهم وأحيا آثارهم

---

(١) الموافقات (١/ ١٤٠).

(٢) الموافقات (٢/ ١٨٩).

كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة النجدية السلفية.

المعلم السابع: ضبط الوقت.

الوقت أمره عظيم، فقد أقسمَ الله به على صورٍ شتَّى، قال سبحانه: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١] والعصر هو الزمان، وقيل وقت العصر، وقال: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ١-٢] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، والله سبحانه لا يُقسم إلا بعظيم.

فحقيقة الوقت فيما نحن بصدده هو الزمن الذين يتمكَّن فيه من تحصيل العلم، وينبغي أن يكون الطالب فقيهًا لوقتِهِ، وقتًا يجعله للحفظ، ووقتًا يجعله للمراجعة، ووقتًا يجعله للتحصيل.

ثم ينبغي لطالب العلم ألا يحتقر من الزمان شيئًا، قد تكون في مكان ليس عندك إلا خمس دقائق أو عشر دقائق، لا تحقر هذه واجتهد في تحصيلها، في مراجعة أو قراءة شيء، فقد يكون هذا الأمر الذي قرأته أو راجعته في هذه الخمس الدقائق أو العشر أو الربع ساعة مما يبقى من العلم، أو مما رسخ من العلم في حفظك وضبطك، فلا تحقرنَّ شيئًا، ثم قد تقدر شغلًا بخمس دقائق فيطول الزمن إلى نصف ساعة أو ساعة أو أكثر.

فلا تحقر من الوقت شيئًا، وكن فقيه وقتك، ففي الصيف أبرك ما في الزمان أول النهار، فالنهار من الصباح إلى الظهر طويل في الصيف ومثله العصر، وفي الشتاء أطول ما في الزمان ليله، ووقت الفجر بركة سواء في الشتاء أو الصيف.

فإذا اضطرّ أن يُقابل أحدًا فليُفرِّق بين الأوقات، فلا يُقابلنَّ أحدًا العصر في الصيف، فإنَّ الوقت سيذهب وهو طويل، لكن قد يُقابله في العصر في الشتاء، أو في المغرب صيفًا وشتاءً، والمقصود أن يكون طالب العلم فقيهًا للوقت، وأن يضبط وقته قدر الاستطاعة ويُجاهد نفسه في ذلك، وأن يُعطي كل ذي حقٍّ حقه من زوجةٍ ووالدٍ ووالدةٍ وولدٍ، وجارٍ ...وهكذا، ومَن ضبطَ وقته وُفِّق واستفاد استفادةً كبيرة.

المعلم الثامن: مرجِع العلم الشرعي.

العلم الشرعي يرجع من حيث الجملة إلى أمرين اثنين:

- **الأمر الأول**: الاعتقاد الصحيح، ومنه التوحيد والعقيدة.
- **الأمر الثاني**: العمل الصحيح، ومنه الفقه والحديث وعلوم الآلة.

فينبغي لطالب العلم أن يجتهد في ذلك وأن يعلم أنَّ كُلَّ ما يتعلَّم مِن العلم ممَّا لا يُحقق هذين الأمرين فلا ينبغي أن يشتغل به، فإنَّ العمر قصير والشواغل كثيرة والهمم ضعيفة.

ومن ذلك الاشتغال بالتعاريف والحدود كتعريف الطهارة والصلاة والزكاة والصيام، أو تعريف الأحكام والأحكام التكليفية والوضعية وهكذا...

فإن الاشتغال بالتعاريف والحدود من طريقة المناطقة ولا فائدة فيه، وقد نقد هذا ابن تيمية [1] من أوجه، وبين أنه لم يُؤْثر عن أئمة الإسلام تعريف الطهارة والصلاة ولو كان خيرًا لسبقوا إليه، ثم إن الحد مهما كان حقيقيًا دقيقًا فلا يمكن أن يتصور المحدود، فلا يمكن لأحد أن يتصور الصلاة بمعرفة حدها فحسب مهما كان الحد دقيقًا ... إلى آخر كلامه.

بل ما ذكروه من شروط في الحد تعقيدٌ للعلم وتصعيب ولا وجود له في الواقع، قال الشاطبي: **" فظهر أن الحدود على ما شرطه أرباب الحدود يتعذر الإتيان بها، ومثل هذا لا يجعل من العلوم الشرعية التي يستعان بها فيها"** [2].

إذا كان كذلك فإدخال الحدود في العلوم خطأ، ويزداد الخطأ إذا أدخل في علم التوحيد والاعتقاد.

---

(١) مجموع الفتاوى (٩ / ٤٢).

(٢) الموافقات (١ / ٦٩).

المعلم التاسع: الحفظ.

من العلم ما لابد لطالب العلم أن يحفظه، إما أنه دليلٌ كالقرآن والسنة، أو لأنه بحفظِه يُفهم العلم ويُدرَك، ومن ذلك حفظ القرآن، ويختلف إذا كان صغيرًا أو كبيرًا، فالصغير يُغلِّبَ جانب الحفظ، أما إذا كبر الرجل فيُغلِّب جانب الفهم مع عدم ترك الحفظ، فلو حدَّد محفوظًا ولو قليلًا فمع الأيام يحفظ كثيرًا.

قيل للزهري: **من أحفظ من لقيت؟ قال: رجلًا كان يحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث أو أربعة أحاديث**. وصدق؛ فإنَّ الرجل لو داوم على حفظ شيءٍ قليل فإنه مع الأيام سيكثُر محفوظه.

فمن العلم ما يُحفظ كالقرآن، ومن الأحاديث كالأربعين النووية وعمدة الأحكام، وأهم ما يُحفظ من أدلة الأحكام كتاب بلوغ المرام، وهذا الكتاب عجيب ولا أعلم كتابًا في الأحكام يُدانيه فضلًا عن أن يساويه، فقد أتقنه وحقَّقه وأبدع في تأليفه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فلو أنَّ الطالب اقتصَرَ على حفظه مع الأربعين النووية، وإن كانت له هِمة حفظ (رياض الصالحين) فقد حصَّل علمًا غزيرًا.

ثم يحفظ طالب العلم ما يُؤدِّي إلى ذلك، فإذا كان لا يمكن أن يفهم علم أصول الفقه إلا أن يحفظ متنًا فليحفظ، وهكذا في بقية العلوم.

فينبغي أن نعتني بالحفظ وأن نكون وسطًا فيه، فقد ابتُلينا بأقوام مُتقابلين متضادين في الحفظ: قومٌ يُزهِّدون في الحفظ ويقولون: لا نحتاج أن نُكرر النُّسَخ!

وهذا خطأ، فالله تعالى امتدح أهل العلم بقوله: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ [العنكبوت: ٤٩] ويُقابل هؤلاء قومٌ بالغوا في الحفظ فأكثروا المحفوظات حتى صعُب عليهم مراجعتها، وصعُب عليهم الاشتغال بفهم العلم، فمع الأيام أصبحوا أشباه عوام.

ومما أظنه خطأً الانشغال بحفظ الصحيحين وزوائدها من الكتب الستة؛ وذلك أنَّ للعلم جادَّة سلكها العلماء وبها وصلوا، وأكثر العلماء لا يحفظون الصحيحين، ومن حفظه منهم فقد حفظ الأساسيات واشتغل بالفهم ولم يقطعه حفظ الصحيحين عن الفهم والتقدم فيه.

فينبغي لطالب العلم أن يحفظ في الاعتقاد وفي التوحيد، ككتاب التوحيد والواسطية، ويحفظ متنًا في الفقه إذا تيسَّر، فإنه مفيد للغاية وبه يستحضر المسائل الفقهية، لكن لا يُبالغ في المحفوظات، وغالب من يُبالغ في ذلك إما استمروا في ضبط المحفوظات وضعفوا جدًّا في فهم العلم والدراية، أو نسوها واشتغلوا بالدراية، أو أصبحوا أشباه عوام، وقد واجهت جمعًا من هؤلاء.

المعلم العاشر: تحقيق مسائل العلم.

روى البيهقي عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: " **مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا فَلْيُدَقِّقْ فِيهِ لِئَلَّا يُضَيِّعَ دَقِيقَ الْعِلْمِ** "[1]، ليحرص أن يكون طالب العلم دقيقًا في العلم ويعرف الأشباه والنظائر والفروق، ويعرف صور المسائل والدليل ووجه الدَّلالة، وصحة الاستدلال بالدليل إلى غير ذلك.

وقد ألقيت محاضرة بعنوان: (من طلب علمًا فليُدقِّق) [2] وذكرتُ جملةً مِن المسائل فحبَّذا الرجوع إليها، وأولى علم بالتحقيق والتدقيق علم التوحيد والاعتقاد فمن القصور الكبير لدى طالب العلم الإجمال فيه.

المعلم الحادي عشر: التدرج في العلم.

إنَّ مِن السُّنن الكونية في كل شيءٍ التدرُّج فيه، فيُطلب صِغار العلم قبل كبارِه، وأن يتدرَّج طالب العلم في طلب العلم، فإذا أراد أن يدرس النحو يبدأ بالآجرومية، ثم بقطر الندى، ثم الألفية، وإذا أراد أن يدرس أصول الفقه يتدرَّج، ومن أنفع ما يبتدأ به (الأصول من علم الأصول) لشيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص ٢٨٥).

(٢) محاضرة: من طلب علمًا فليُدقق:
https://www.islamancient.com/ar/?p=17485

وفي الفقه يبدأ بـ(عمدة الفقه) ثم (دليل الطالب)، وفي التوحيد يبدأ بـ(القواعد الأربع) ثم (ثلاثة الأصول) ثم (كتاب التوحيد)، وفي الاعتقاد يبدأ ب (لمعة الاعتقاد) ثم (العقيدة الواسطية) ... وهكذا، فالتدرُّج مفيد في ترسيخ العلم وتثبيته وضبطه.

المعلم الثاني عشر: ضبط العلم بالمراجعة.

روى ابن عبد البر والخطيب البغدادي عن عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "**قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ** "[1]، وهذه من الكلمات العظيمة وقد أشادَ بها ابن عبد البر ونقلَ كلمات أهل العلم في الثناء عليها، حتى قد نُظمت هذه الكلمة لعِظمها.

فلو أنَّ رجلًا حفِظَ القرآنَ كله لكن نسيه لم يبق معه إلا جزءان، فالحقيقة أنه لم يحفظ إلا جزئين، فقيمة كل امرئٍ ما يُحسنه.

وضبط العلم بالمراجعة، ولا شك أنَّ المراجعة شاقَّة، لكن لا شيء في تحصيل العلم كمثل المراجعة، والمراجعة تحصل بأن يجعل وقتًا يُراجع فيه يوميًّا، ومما يُعين على المراجعة وضع الدروس، فإنَّ المعلم سيُراجع معلوماته ويضبطها قبل أن يُلقيها على الناس، سواء في دروس طلاب العلم أو عامة الناس أو خطب الجمعة وغير ذلك.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١ / ٤١٦)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢ / ٢٧).

وأوصي نفسي وإخواني بكثرة المراجعة حتى يُضبط العلم ويستقرّ، فإذا قرأت كتابًا علِّق فوائده على الغلاف، ثم ما بين حين وآخر راجع هذه الفوائد بقراءة الغلاف، وتجعل وقتًا يوميًّا لمحفوظاتك، وهكذا ما درست في الفقه وغيره تُراجعه.

تنبيه: مما يُعين على ضبط العلم ومراجعته وتحقيقه أن تشرح متنًا في كل علم كمثل (كتاب التوحيد) تجمع فيه ملخص الشروح، ثم بعد ذلك تتطوَّر وتُناقش المسائل التي أوردها الشُّراح في المسائل المتعلقة بكتاب التوحيد، وتُناقشها ما بين موافق ومُخالف، وهذا لا يكون إلا بعد دراسة أصول العلم كأصول الفقه وغير ذلك.

وهكذا تفعل في علم أصول الفقه، تجعل كتاب (الأصول من علم الأصول) للشيخ ابن عثيمين أصلًا تُعلِّق عليه، وهكذا تفعل في الفقه، فإذا فعلت هذا فإنك ستجمع بين أمرين، بين تحقيق المسائل وضبطها ثم تُراجع ذلك ما بين حينٍ وآخر فتضبط العلم.

وهذه الطريقة أُوصي نفسي إخواني بها، وقد فصَّلتها في درس بعنوان: (مهمات في طلب العلم) [1].

---

(١) محاضرة: مهمات في طلب العلم:
https://www.islamancient.com/ar/?p=17629

المعلم الثالث عشر: الاجتهاد وترك التقليد.

ليحرص أن يكون الدارس ذا هِمَّة حتى يصل إلى درجة الاجتهاد، وليعلم أنَّ الاجتهاد قد يُسِّر في زماننا تيسيرًا شديدًا، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧].

وقد بيَّن هذا الشنقيطي في (أضواء البيان) في تفسير سورة محمد عند قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] وهذا في وقت محمد الأمين الشنقيطي فكيف لو أدرك وقتنا ووجود هذه المكتبات الإلكترونية والدروس المسجلة؟ فلو أدرك هذا لعلم أنه قد يُسِّر أكثر وأكثر.

وليس معنى كون الاجتهاد سهلًا أنَّ كُلَّ أحد يجتهد، وإنما المراد أنَّ طريقة الوصول لدرجة الاجتهاد قد سُهِّلت، فشمِّر عن ساعدك يا طالب العلم حتى تكون مجتهدًا فليس الأمر صعبًا لكنه يحتاج إلى جِد واجتهاد ومثابرة والسعي الشديد والحثيث.

وأهم شرطٍ لكل مجتهد أن يكون عالمًا بعلم أصول الفقه العملي، لا علم أصول الفقه عند المتكلمين، وقد حكى هذا الرازي في كتابه (المحصول) وأبو المظفر السمعاني في (القواطع) والشوكاني في (إرشاد الفحول)، فقد يكون المجتهد مقلدًا في علم الحديث لكن لا يمكن أن يكون مقلدًا في علم أصول الفقه، فلابد أن يعرف

دلالات الألفاظ والمنطوق والمفهوم، ويعرف العام والخاص، وكيفية الجمع بين الأدلة، والأدلة التي يُستدل بها والتعامل معها، والإجماع والقياس وقول الصحابي والعرف والاستصحاب والاستصلاح ...إلى غير ذلك.

فإنَّ العلم قد تيسَّر لكن أين الجادون؟ أين الراغبون لرضا الله؟ أين الساعون لجنةٍ عرضها السماوات والأرض؟ أين الذين يريدون أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿يَرْفَعْ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] ؟

ويُحاول كثير من المتأخرين أن يُصعِّبوا الاجتهاد، حتى يُغلقوا باب الاجتهاد ويُرجعوا الناس إلى التقليد المذموم الذي أجمع السلف على ذمه، فاشترطوا شروطًا في المجتهدين لا تكاد توجد في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما ذكر هذا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في (الأصول الستة)، وذكره الصنعاني.

وهم يحاولون أن يُضعفوا الاجتهاد وأن يجعلوا باب الاجتهاد مغلقًا أو صعبًا للغاية أو شبه مستحيل، حتى يُرجعوا الناس إلى التقليد الذي ذمَّهُ الله ورسوله ﷺ، فاجتهدوا في تحصيل العلم فقد سُهِّل للغاية، وقد ألقيت درسًا في التعليق على رسالة الشنقيطي (الإقليد في الأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد) [١].

---

(١) التعليق على رسالة الشنقيطي (الإقليد في الأسماء والصفات والاجتهاد والتقليد) مرئي – صوتي – مكتوب: https://www.islamancient.com/ar/?p=28556

المعلم الرابع عشر: دراسة علم الحديث.

إن معرفة علم الحديث عظيم القدر رفيع المنزلة، فبواسطته تحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي المصدر الثاني للتشريع، ومن كان عالمًا بالحديث قويت حجته كما روى البيهقي وأبو نُعيم عن الإمام الشافعي أنه قال: **"وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ قَوِيَتْ حُجَّتُهُ"** (١)، وهو من علوم الآلة العظيمة؛ لأن المقصود منه تمييز الحديث الصحيح من الضعيف.

ومما ينفع في دراسته دراسةُ علم مصطلح الحديث أن يتدرج الدارس فيه، وأن يتنبه إلى أنه أدخل فيه مباحث نظرية لا علاقة لها بالغاية من علم الحديث وهو معرفة التمييز بين الحديث الصحيح والحديث الضعيف؛ وذلك أن المتكلمين شاركوا في علم المصطلح بما أضره وأفسده، كما نبه على هذا ابن رجب في شرح العلل.

ومما يلاحظ في هذه السنوات عزوف الطلاب عن دراسته وتعلمه، وعزوف المعلمين العارفين به عن تدريسه وتدريب الطلاب على تطبيقه، والمرجو أن يجتهد المحدثون على تدريسه، وتعويد الطلاب على تطبيقه عمليًّا.

---

(١) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء (٩ / ١٢٣)، المدخل للسنن الكبرى للبيهقي (ص ٣٢٤).

وأؤكد على ما صدَّرت به هذا الدرس، أنَّ معالم طلب العلم كثيرة، وحاولت في هذه العجالة أن أختار الأهم، فما كان من صواب فهو من الله وفضله وكرمه وجوده، وما كان من خطأ فهو من نفسي والشيطان، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعلنا هداةً مُهتدين غير ضالين ولا مُضلين.

***

(الإجابة على الأسئلة)

السؤال (١) : نجد كثيرًا من طلبة العلم يطلبون العلم عدة سنوات لكن تحصيلهم للعلم ضعيف، مما يكون هذا سببًا عن عزوف البعض عن طلبه للعلم.

الجواب: هذا صحيح، وهذا يرجع إلى أمور، فإما أنه لم يسلك الجادة في طلب العلم، أو لم يُوفق إلى أصحاب يُعينونه على طلب العلم، إلى غير ذلك من الأسباب، ومن الأسباب الذنوب -عافاني الله وإياكم-، فأوصي إخواني بما تقدم ذكره في هذه المعالم، وأظن أنَّ مَن حقق هذه المعالم وغيرها من الأمور المهمة وأراد الله به خيرًا فلابد أن يصل برحمة الله، فالله الله بالجد في العلم ومصاحبة الجادين وكثرة الدعاء.

السؤال (٢) : هل يُشترط في تعليم غيري من أهلي وممن حولي أن أكون متقدمًا في العلم الشرعي؟ لأننا نسمع البعض يقول: هذا فيه تصدُّر ولابد أن يمكث عدة سنوات حتى يُعلم غيره، وأنهم يذكرون أقوالًا عن السلف في ذلك.

الجواب: ينبغي أن نكون وسطًا في هذا الباب، لا إفراط ولا تفريط، كل مَن تعلَّم علمًا صحيحًا يُعلم الناس، لكن لا يكون الرجل متصدِّرًا وظاهرًا إلا بعد أن يشتدَّ ساعده ويصبح صاحب علم، متمكنًا في العلم، أما مَن تعلَّم كتابًا وعلَّم إخوانه وأهله وكسر العُجب في نفسه وجمعَ بين التواضع والجد في العلم وأن يُعلم ما يَعلم، وإذا سُئل عما لا يعلم قال لا أدري فهو على خير، فيكون طالب العلم وسطًا لا إفراط ولا تفريط، ويُجاهد نفسه في ذلك.

فأنصح إخواني إذا تعلموا أن يُعلموا، فإذا تعلمت التوحيد فعلِّمه، لكن إيَّاك وأن تتقوَّل على الله بغير علم، إيَّاك أن تُصاب بالعُجب، فكن وسطًا لا إفراط ولا تفريط.

السؤال (٣) : ما الأسباب التي تُعين الشخص على الإخلاص؟ لأنَّ البعض قد يترك العمل مخافة الرياء؟

الجواب: ينبغي أن يُعلم ما ذكره الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونقله عنه جماعة من أهل العلم كالنووي في (الأذكار) "أن ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما"، فطالب العلم والمتعبِّد لله

ينبغي ألا يرى إلا الله، فلا يترك العمل لأجل الناس ولا يعمل لأجل الناس، ولا يكون آمنًا من الرياء، قال الحسن: لا يخافه إلا مؤمن ولا يأمنه إلا منافق.[1]

لكن ليس معنى خوف الرياء أن يترك العبادة ومنها طلب العلم، بل يستمر ويجاهد نفسه على الإخلاص ويسأل الله ذلك، وليعلم أنه إذا ترك العمل فقد وقع في الفخ الشيطاني، وإذا استمرَّ في الرياء فقد وقع في الفخ الشيطاني، وإنما سبيل النجاة أن يستمر في العمل ويستمر في مجاهدة النفس على الإخلاص، ويُكثر الدعاء.

السؤال (٤): ذكرت بعض الأدلة على فضل العلم الشرعي، هل لابد للشخص أن يكون مستمرًّا على طلب العلم حتى ينال هذا الأجر؟

الجواب: بقدر طلبه للعلم يكون قد حصَّل مقدارًا من هذا الأجر، وكلما تمكَّن في العلم أخذ الحظ الأوفر منه، وهكذا.

السؤال (٥): نجد بعض طلبة العلم حريصًا على طلبه للعلم ونشيطًا في الدعوة إلى الله، إلا أنَّ عنده شدة في التعامل مع إخوانه من طلبة العلم، حتى إنَّ العوام ينفرون منه، فما توجيهكم إلى مثل هذا؟ علمًا أنه تمت مناصحته من إخوانه من طلبة العلم لكن دون جدوى؟

---

[1] السنة للخلال (٥/ ٧٥) وصححه ابن حجر في الفتح (١/ ١١١) وابن رجب في الفتح (١/ ١٩٥).

الجواب: مثل هذا ينبغي أن يُخوَّف بالله وأن يُناصح بالتي هي أحسن وأن يُكلمه مَن يقبل منه، وأن يُدعى له، فادعوا لبعضكم، وينبغي أن ندعوا لإخواننا، فإنَّ الرجل إذا دعا لإخوانه يكون في ذلك فوائد، منها أنَّ الملَك يدعو له بالمثل كما في صحيح مسلم، ومنها أنَّ الله إذا استجاب دعاءك أخذت أجر أخيك، إلى غير ذلك من الفوائد، ولا نيأس ونستمر في المناصحة بالتي أحسن، وإذا رأيناه شدَّ وحصلت مفسدة فنستغل هذه الفرصة بما يجعله يُقبل ولا ينفر.

السؤال (٦): ذكرت أثرًا عن السلف أنه يجد أثر المعصية على زوجته ودابته، هل هذا على الإطلاق؟ وكيف يُميِّز الشخص إذا كان ما وقع له بسبب المعصية أم أنه ابتلاء؟

الجواب: أولًا ما يقع على الإنسان لا يخرج عن كونه إما عقوبة أو رِفعة للدرجة، لكن الإنسان لا يُزكي نفسه، فلذا يُغلِّب جانب العقوبة لتقصير الإنسان الكبير، ويتهم نفسه ويُراجع نفسه، هذا من حيث الجملة.

أما من حيث الواقع فقد يجد الإنسان نفسه ويعرف نفسه أنه وقع في معاصٍ جديدة، ثم يجد أنه بعد ذلك حُرِم شيئًا كثيرًا من العلم والخير، فإذن في مثل هذا واضح أنه قد حُرِم أمثال هذه الأمور بالمعصية، أسأل الله أن يُعاملنا جميعًا برحمته.

السؤال (٧) : إذا حضرت عدة شروح لمتن معين لبعض المشايخ، فكيف يتم مراجعة ما أخذته منهم؟ هل يتم مراجعة كل الشروحات؟ أم أختار شرحًا معينًا وهكذا بعض الفنون؟

الجواب: أنت أبصر بنفسك، لكن ممكن أن تجمع شروح المشايخ على شرح واحد، فإذا قرأت المسألة تنظر شروح بقية المشايخ التي درستها، أو أن تراجع شرح الشيخ كاملًا ثم الثاني كاملًا، اسلك الطريق التي تراها أنفع لك، المهم أن تكون جادًّا في المراجعة.

السؤال (٨) : طالب العلم المبتدئ وقت الفتن هل يهتم بالعلوم أم بالقرآن حفظًا؟

الجواب: بكليهما، والعمر له أثر، إذا كان صغيرًا يُغلِّب جانب الحفظ، وإذا كبرت به السن فيجمع بين الحفظ والفهم ويجعل مقدارًا من الحفظ ولا يُكثر لكن يستمر ويضبط.

السؤال (٩) : ما أهمية علم التجويد وعلم النحو؟

الجواب: أما التجويد فمنه ما هو مطلوب شرعًا على وجه الاستحباب، ومنه ما هو مذموم مما بالغ فيه القُرَّاء، والتجويد المستحب منه ما يرجع إلى لغة العرب كمخارج الحروف والإقلاب والصفير وغير ذلك، ومنه ما يُؤخذ بالتلقِّي كالمدود، ومن التجويد ما فيه مبالغة وقد أنكر الإمام أحمد بعض المبالغة فيه، فهو مفيد في التلفظ وقراءة القرآن والتعبُّد به.

أما علم النحو فهو علم آلة، ويتعلق بإعراب أواخر الكلم، وهو علم مفيد للغاية من جهة فهم الكلام ومن جهة إقناع الناس أنك طالب علم، فالناس إذا سمعوا الرجل يُحسن الكلام ويُعربه وثقوا فيه وقالوا هو جاد في تحصيل العلم، أما إذا رأوه ليس كذلك قالوا ليس جادًّا بدليل أنه لم يضبط النحو.

ثم يُغلق الباب على أهل البدع، فإنه إذا كان صاحب السنة ضعيفًا في النحو فإنَّ أهل البدع يُنفرون منه بمثل هذا، فالنحو مفيد والعلماء دارجون على ضبطه ومعرفته لأهميته، فهو من لغة العرب التي نزل بها القرآن، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

أسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، وجزاكم الله خيرًا.